

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[173] (سحلفون با لكم إ ذا انقلبتم إ لىهم لتعرضوا عنهم). في الحقيقة، إ ن هؤلاء يطرقون كل باب ليردوا منه، فتارةً يريدون إ ثبات براءتهم وعدم تقصيرهم بالإ عذار، وتارةً يعترقون بالتقصير ثم يطلبون العفو عن ذلك التقصير، إ ذ ربما استطاعوا عن إ حدى هذه الطرق النفوذ إ لى قلوبكم، لكن لا تتأثروا بأي أ سلوب من هذه الأساليب، بل إ ذا جاؤكم ليعتذروا إ لىكم (فاعرضوا عنهم). إ ن هؤلاء يطلبون منكم أن تعرضوا عن أفعالهم، أي أن تصفحوا عنهم، لكنكم يجب أن تعرضوا عنهم، لكن لا بالصفح والعفو، بل بالتكذيب والإنكار عليهم، وهذان التعبيران المتشابهان لفظاً لهما معنيان متضادان تماماً، ولهما هنا من جمال التعبير وجزالته وبيانه ما لا يخفى على أهل الذوق والبلاغة. ولتأكيد المطلب وتوضيحه وبيان دليلة عقبت الآية بأن السبب في الاعراض هؤلاء (إ نهم رجس)، ولأنهم كذلك فإن مصيرهم (ومأواهم جهنم) لأن الجذة أ عدت للمتقين الذين يعملون الصالحات، وليس فيها موضع للأرجاس الملوّثين بالمعاصي. إ ن كل العواقب السيئة التي سيلقونها إ نما يرونها (جزاء بما كانوا يكسبون). في الآية الأخيرة التي نبحثها هنا إشارة إ لى يمين أخرى من أيمان هؤلاء، الهدف منها جلب رضى المسلمين (يحلفون لكم لترضوا عنهم). الفرق بين اليمين في هذه الآية واليمين في الآية السابقة، أن المنافقين في الآية السابقة أرادوا تهدئة خواطر المؤمنين في الواقع العملي أمّا اليمين التي في هذه فإنها تشير إ لى أن المنافقين أرادوا من المؤمنين مضافاً إ لى سكوتهم العملي إظهار الرضا القلبي عنهم. الملفت للنظر هنا أن تعالى لم يقل: لا تعرضوا عنهم، بل عبّر سبحانه بتعبير تُشم منه رائحة التهديد، إ ذ تقول عز وجل: (فإن تعرضوا عنهم فإن لا يرضى عن